تجديد الدرس البلاغي في مقدمات كتب د. محمد محمد أبو موسى

د. حزام بن سعد الغامدي
أستاذ البلاغة والنقد المشارك بقسم اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الباحة

ملخص البحث

شغلت قضية تجديد الدرس البلاغي كثيرا من الباحثين المعاصرين ويختلفون في رؤيتهم لذلك التجديد، ومن هؤلاء المجددين الشيخ محمد محمد أبو موسى الذي تمثل مقدمات كتبه رؤية متكاملة لمفهوم التجديد في الدرس البلاغي ولذلك جاءت هذه الدراسة لتحقيق عدد من الأهداف من أهمها، تعرف موقف الشيخ محمد محمد أبو موسى من التجديد في الدرس البلاغي، ودراسة وجهة نظر الشيخ للمثاقفة بين علوم الأمة، وتعرف أثر ذلك في التجديد، وتحديد رؤيا الشيخ للمثاقفة مع الأخر، وتحديد روافد التجديد التي يرى الشيخ ضرورة الانطلاق منها في تجديد الدرس البلاغي، وينتهي إلى مجموعة متنوعة من النتائج والتوصيات المرتبطة بموضوع الدراسة البحثية.

Renewal of the Rhetorical Lesson in the Introductions of the Books written by Mohammad Mohammad Abu Mussa

Dr. Hezam Bin Saad Al-Ghamdi
Associate Professor of Rhetoric and Criticism, Department of Arabic Language
Faculty of Arts & Human Sciences – Al Baha University

Abstract

The renewal issue of the rhetorical lesson has dragged attention of a lot of contemporary scholars and they differ in their vision on this renewal. One of these modernists sheikh Mohammad Mohammad Abu Mussa whose introductions of the books represent a comprehensive, integrated vision of the renewal concept in rhetorical lesson. This study comes to achieve a number of objectives. One of these objectives is to recognize the attitude of sheikh Mohammad Mohammad Abu Mussa towards the renewal of the rhetorical lesson. It also discusses the sheikh's views on acculturation among nation's sciences and it is to recognize the influence of such acculturation in the renewal. Further, the study investigates the sheikh's visions on acculturation with the others. This study determines the renewal tributaries which sheikh sees as a true beginning in the renewal of the rhetorical lesson. The study ends with a variety of results and recommendations involved with the topic of research study.

المقدمة

الحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده . وبعد ،،،

شغلت قضية التجديد في الدرس البلاغي كثيرًا من الباحثين المعاصرين، وهم يتّفقون جميعًا على ضرورة تجديد الدرس البلاغي ، وتختلف مشاربهم في تناول هذا التجديد لتباين مفهومه بينهم، وهم ما بين منادٍ بطرح البلاغة القديمة جانبًا؛ وَبين من يرى المزج بين البلاغة القديمة والدراسات الغربية الحديثة؛ ليتكوّن منهما نشءٌ جديدٌ وكيانٌ حديثٌ ؛ هو في نظرهم الصورة التي تشكّل التجديد، وهذا بلا شك يصل في كثير من الأحيان إلى غلبة تراث الآخر، ومزاحمته لتراث الأمة، بل ربما ذوبانه وإحلال العلوم الأجنبية بديلًا له، بينما نادى بعض الباحثين بالانطلاق من تراث الأمة في تجديد علومها عامة ، وتجديد درس البلاغة على وجه الخصوص، مع قراءة تراث الآخر واستيعابه، بعد فهم تراثنا فهمًا واسعًا، ويكون التجديد وفق أصول ومنطلقات وروافد، ينهل منها المجدِّد، وينطلق منها مَنْ أراد تحديث هذا العلم، ليقدّم للنّشء علم البلاغة في صورة سهلة ميسورة، جاذبة للدارسين، محبّبة إلى نفوس التلاميذ، فإلى أيّ هذه المذاهب ينتمي الشيخ محمد محمد أبو موسى؟! هذا ما ستجيب عليه هذه الدراسة بإذن الله .

إنَّ المتأمل في دراسات كتب الشيخ محمد محمد أبو موسى، يصل إلى قناعة ويقين، أَنه يمثّل قيمة مهمة في الدرس البلاغي، وتشكّل مقدمات كتبه رؤيَةً متكاملة لمفهوم تجديد الدرس البلاغي، وأهم قضايا هذا التجديد وأبعاده وأدواته؛ ولذلك جاءت هذه الدراسة لكشف الستار عن قضية التجديد في مقدمات كتبه . و لم أطّلع على دراسة سابقة عرضت لدراسة التجديد في مقدمات كتب الشيخ محمد محمد أبو موسى، من حيث تلك الرؤية الشاملة المتكاملة التي ترسمها لتجديد الدرس البلاغي.

وتجيب هذه الدراسة عن أسئلة عدّة من أهمها:

- ما موقف الشيخ محمد محمد أبو موسى من تجديد الدرس البلاغي؟
- كيف ينظر الشيخ للمثاقفة بين علوم الأمة؟ وما أثر ذلك في التجديد؟
- ما رؤيا الشيخ للمثاقفة مع الآخر؟ وما علاقة ذلك بالتجديد؟
- ما روافد التجديد التي يرى الشيخ ضرورة الانطلاق منها في تجديد الدرس البلاغي؟

وقد جاءت هذه الدراسة على النحو الآتي:

- **المقدمة.**
- **المبحث الأول:** موقف الشيخ محمد محمد أبو موسى من تجديد الدرس البلاغي.
- **المبحث الثاني:** المثاقفة بين علوم الأمة وأثره على التجديد في مقدمات الشيخ محمد محمد أبو موسى.
- **المبحث الثالث:** المثاقفة مع الآخر.
- **المبحث الرابع:** روافد التجديد وتطبيقاته عند الشيخ محمد محمد أبو موسى.
- **الخاتمة والنتائج**

****

المبحث الأول: موقف الشيخ محمد محمد أبو موسى من التجديد البلاغي

يرى الشيخ محمد محمد أبو موسى أن الدرس البلاغي لا يزال مفتوحًا ؛ ليشمل كلّ دراسة تستخرج أسرار البيان[1] .

والشيخ يرى أن الذين يهتدون إلى التجديد في الدرس البلاغي إنما هم أصحاب المواهب، حيث يقول: " يظل – أي الدرس البلاغي – مفتوحًا لكل ما يهتدي إليه أصحاب المواهب من ضروب الكلام وأسراره، يفضل به بعض القائلين بعضًا".[2]

إذن الإضافة في الدرس البلاغي – مع كونها مفتوحة تتراوح من دارس لآخر ، حسب قوة موهبته ، وحدة ذكائه ، ومادة إضافته، وينبوع تجديده – إنما هي ضروب البيان، وطبقات الكلام التي تفضل بعضها بعضا، حسب تفاوت قائليها في الموهبة والطبع من جهة ، والقدرة على الصنعة من جهة أخرى .

و لم يكن الشيخ من دعاة الجمود والتقليد ألبتة ، وإنما يدعو إلى الانطلاق من أصول العلم ثم البناء عليها، والتجديد فيها، حيث يقول: " مادام عبد القاهر قد أسس علم البلاغة ؛ فمن الواجب أن تكون دراسته البلاغية داخله في أبواب هذا العلم ، ثم لا يقف هذا العلم عندها ، وإنما يظل بابه مفتوحًا لاجتهادات المجتهدين"[3].

ويرى الشيخ أن تجديد الدرس البلاغي يجب أن يبدأ بكشف أصول منهج عبد القاهر؛[4] إذْ عبد القاهر هو مؤسس هذا العلم الشريف ، ومعرفة منهج عبد القاهر تعينُ الدارس على التجديد ، وتحدِّد له معالم التجديد ، وتفتح له آفاقًا في ذلك ؛ لأن عبد القاهر لم يقدِّم المعرفة فحسب ، وإنما كان عبد القاهر يفتح باب مسائل، ثم يرجع عنها ، واعدًا بوفائها ثم أعجله نداء ربه"[5].

[1] ينظر مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، ص١١.
[2] السابق، ص١٢ .
[3] السابق، ص١١.
[4] السابق ،ص١٧.
[5] ينظر خصائص التراكيب، ص ٧.

وهذا يمنح الدارس أبعادًا من الإضافة مع الأصالة، وأرضًا خصبة من التجديد، مع عدم قطيعة التراث وبتّه .

وفي موضع آخر يؤكّد الشيخ أن أهمية بناء العلوم وتجديدها من خلال الانطلاق من داخلها ، حيث يقول: " لن يكون هناك نمو إلا إذا كان الامتداد امتدادًا من داخل الحياة الفكرية والأَدبية ، يتناسل بعضه من بعض ، كما يتناسل جيل من جيل ، ولن يكون هناك تطور إلا إذا استخرجت هذه المرحلة مما قبلها"[١].

ويؤكدّ الشيخ أن عدم الإفادة من الفكر الإنساني في تجديد العلوم لا يقول به أحد ، حيث يقول: "واحذر أن تظن أني أقول بمقاطعة الفكر الإنساني؛ لأن هذا لا يقول به من له قلب حي وعقل رشيد "[٢].

ويرى الشيخ أنه ليس هناك علمٌ قد استغلق على التجديد والإضافة والابتكار؛ لذا يقول: "وليس هناك علم أغلق بابه إلا عند الذين غلقت أبوابهم ، والذين قالوا إن العلم الفلاني نضج واحترق ؛ لأنه ليس هناك علم يقال فيه هذا ، وإنما يتسع العلم باتساع نظر العلماء الذين هم أهل لأن يقال لهم علماء؛ لأنك كلما فتشت وجدت خبيئًا ، ووجدت تحت الخبئ خبيئًا "[٣].

ويرى الشيخ أن التجديد فطرة فطرت الأمم عليها لا يمكن أن يستغني عنها سليم الفطرة ، فيقول: " التجديد والتحديث في العلوم حركة فطرية تقوم عليها حركة الفكر وانتقال المعرفة من جيل إلى جيل"[٤].

وعدم تجديد علومنا — في نظر الشيخ : ـــ هو السبب في نفور أجيالنا منها ، حيث يقول: " قدَّمنا علومنا بصيغها التي توقفت عندها ، فلم تلتئم مع مذاق العصر ، فهرب منها أَبناؤنا ، إما إلى جهل ، وإما إلى معارف الآخرين"[٥] .

وعدم استيعاب كتابة العالِم لأهل عصره جعل بعض أهل عصرنا يعيبون علماءَنا ، وينفِّرُون طلاب العلم من كتب بعضهم ، وهذا ما ذكره محمود شاكر في دفاعه عن السعد التفتازاني بقوله: " فوجدت أنه - أي الشيخ رشيد رضا قد ظلم السعد ظلمًا بيِّنًا؛ لأن الرجل كان يكتب لأهل زمانه ، وما أيقنوا من العبارة عن علمهم"[٦].

وكان من الواجب - في نظر الشيخ - أنْ يصوغ كل جيل المعرفة صياغة جديدة تلائم

---

[١] القوس العذراء وقراءة التراث،ص٦.
[٢] شرح أحاديث من صحيح البخاري، ص٢٥.
[٣] الزمر ومحمد وعلاقتهما بآل حميم،ص٤.
[٤] دراسة في البلاغة والشعر، ص ١٦.
[٥] دراسة في البلاغة والشعر، ص١٠.
[٦] أسرار البلاغة، المقدمة ، ص ١٧.

العصر الذي عاشوا فيه ، فلكل عصر صياغة عقلية تلائمه[١].

ويعيب الشيخ على الذين يريدون من تلاميذهم أن يتعلموا العلوم منْ تراث من سبقوهم ، وإنما الواجب الذي يقوم بعبئه العلماء هو تقديم العلم لتلاميذهم بلغة عصرهم، ليغروهم به ، ويفتحوا شهواتهم به ، ويطعموهم ثم يرتدوا وهم معهم برفق إلى تراث من سبقوهم[٢].

وتتسع دائرة اهتمام الشيخ بالتجديد ؛ لتشكل كافة العلوم والمعارف ، حيث يقول: "وحاجتنا إلى الفكر المبدع ليست فقط من أجل تجديد علوم اللغة والأدب ، وإنما نحن بحاجة إلى هذا في كل فروع الحياة ، يجب أن يتدفق تيار الخَلْق والإبداع في كل شيء ، وبه يتغير كل شيء نحن في حاجة إلى فكر مبدع في الاقتصاد ، والسياسة ، والتخطيط "[٣].

وعندما نتأمل هذه المقولة الفذة الثمينة للشيخ ، نجد عقلية باحثة عن التجديد والإبداع، والإضافة والابتكار؛ ليس في الدرس البلاغي والأدبي واللغوي فحسب، وإنما تبحث عن التغيير الإيجابي ، والطرح الإبداعي؛ والإضافة النوعية في كل شئون الحياة ومناحيها؛ وهذه هي نظرة الشيخ محمد محمد أبو موسى إلى التجديد، فهو لا يرى التجديد عبثًا أو أمرًا ثانويًّا، وإنما يرى الحاجة إليه في كلّ مناحي الحياة، ووجود الفكر المبدع الذي يستطيع التجديد ، هو ضرورة قصوى في التغيير الإيجابي والتطوير والتحسين، وإلا بقيت الأمة الإسلامية متخلّفة عن رَكْب الأمم، ومتأخرة عن منافستهم.

المبحث الثاني : المثاقفة بين البلاغة وعلوم الأمة وأثر ذلك في التجديد

يرى الشيخ محمد أبو موسى أنّ الإمام عبد القاهر الجرجاني في دراسته البلاغة كان في كل حواراته يصدر من حقيقه واضحة هي الربط الحي بين منظومة العلوم العربية الإسلامية وكيف تتداخل وتتأثر وتتشارك وهذا مما لا يجوز أن يغيب عن أي دارس لهذه العلوم ،

فضلا عن أن يكون ناقدًا لها ، وهي بمثابة الجسم المتكامل ، فالذين يهدمون علم البلاغة مثلا ، ويطاردونه حتى في عقول صغار التلاميذ ، جهلوا أن ذلك لو تم لهم ، يؤدي لا محالة إِلى " تعتيم مساحات متسعة في التفسير والحديث والفقه والأصول ، وغياب هذا الفهم عن كثير من أهل زماننا هو الذي يدفعهم إلى

[١] ينظر: دراسة في البلاغة والشعر،ص١٠.
[٢] ينظر: دراسة في البلاغة والشعر، ص٢٧.
[٣] السابق،ص١٣.

الجرأة المتهورة في الهجوم على ما يشبه أن يكون ثوابت في المعرفة اللغوية والبلاغية "[1].

وعند التأمل في كلام الشيخ – آنف الذكر – نجده يمّثل ترابط علوم الأمة "بالجسم المتكامل" الذي يؤدّي أي استئصال منه إلى تشويه ذلك الجسم، كما يؤدي إلحاق الأذى بجزء يسير منه إلى الإضرار بذلك الجسم، وإصابته بالسهر والحمى، وما ذلك إلا أنه لابد في بناء أحد هذه العلوم من النظرة الشاملة للعلوم الأخرى، واستسقاء صفوها ، والاستعانة بها في البناء والتأصيل والتجديد ، فهي كأجزاء الجسد الواحد التي يحتاج بعضها بعضًا .

والشيخ يعطي للبلاغة الشرعية؛ ويمنحها الثبات والرسوخ من خلال ربطها بالعلوم القدسية التي تعتبر من ثوابت الدين وأصوله ، مما يجعل المعتدي على البلاغة معتديًا على تلك العلوم المقدمة والثوابت الراسخة للدين ، إذ البلاغة هي مفتاح الوصول إلى تلك الأصول ، وبوابة المعرفة للإعجاز الذي تقوم به الحجة وتتضح به المحجة .

ويؤكد الشيخ في موطن آخر ترابط علوم الأمة وتواصلها ، وإن ذلك لم يكن غائبًا عن سلف الأمة ، فيقول: " وغني عن القول أن سلف هذه الأمة كان لهم تصور كلي للحياة الفكرية ، وخاصة في حقلَي اللغة والأدب والدين ، فكانت العلوم الإسلامية مرتبطة بأوثق ارتباط بعلوم العربية ، وكان التواصل قائمًا بين دراسة الشعر والتوحيد والنحو والتفسير والأخبار والقوافي ، وغير ذلك مما تداخل بعضه في بعض ، ومدّ بعضه بعضا في تكامل حي مثمر"[2] ويستشعر الشيخ خطورة عزل علوم العربية عن بعضها لتكون أشبه ما تكون بالجزر المعزولة عن بعضها، فيقول: "كان شيوخ النقاد فقهاء، وشيوخ الفقهاء أصحاب شعر، وشيوخ الشعراء قرّاء، ولم تعرف علومنا هذه الجُزر المعزولة"[3].

ويرى الشيخ أن مناهج علوم المسلمين قائمة على الاجتهاد والقياس والاستنباط ، وأن الذي جعل هذه العلوم تنطلق من هذا المنطلقات الثلاثة ، هو غلبة المنهج الفقهي على العلوم الأخرى ، إذ هذه المنطلقات هي أصول الفقهاء[4].

ويتجاوز الأمر – في نظر الشيخ – غلبة منهج الفقه على العلوم الأخرى ، إلى أن تكون قراءة

[1] دراسة في البلاغة والشعر، ص١٦-١٧.

[2] دلالات التراكيب ص٤١-٤٢.

[3] من أسرار التعبير القرآني "دراسة تحليلية لسورة الأحزاب"،ص٩.

[4] ينظر: مدخل إلى كتابي عبدالقاهر، ص٥.

كتب الفقه؛ مما يعلّم الناس كيف يفكـرون ، وكيف يستنبطون ، بل وكيف يقدح المرء نور بصيرته ، وهو يتابع أضواء الحقيقة في مجاذباتها الحية الرائعة النبيلة من حوار الفقهاء[١] .

وأشد ما نجد المثاقفة بين علوم العربية، ما نجده بين البلاغة والشعر، حتى عدّ الشيخ الشعر جوهر البلاغة ومعدنها ،حيث يقول: جوهر العمل البلاغي هو تفقّد الأبنية الشعرية، والدراسة التي تجعل أبنية الشعر أساسًا لها، ثم تهتدي بكلام العلماء في تصنيفها وتوصيفها دراسة جليلة؛ لأنها تمد الدراسة البلاغية بصيغ جديدة فتعزز المادة البلاغية وتتنوع، وتكون أقدر على استيعاب ما في النصوص من عناصر ذات تأثير"[٢].

ويربط الشيخ بين فهم البلاغة واستيعابها ومعرفة مذاهب الشعراء، فنجده يقول: "ومن المستحيل أن يكون لطالب العلم بصيرة في أي باب من أبواب البلاغة وهو عاجز عن قراءة معلّقة في المعلقات، وإنما تكون له هذه البصيرة إذا حفظ المعلقات، وعرف مذاهب شعرائها وما بينها من تقارب أو تباعد "[٣] .

ودراسة الشعر وسيلة دارس البلاغة، وطريق البلاغي ليكون عالمًا في البلاغة، يقول الشيخ: "واعلم أن علماءنا لم يكونوا علماء في هذا الباب إلا بعد أن درسوا الشعر دراسة جعلته مع سعته وعمقه وتراحبه كأنه قد أُجْمع ووضع تحت أبصارهم "[٤].

والمثاقفة بين الشعر والبلاغة تصل إلى حدّ عدم استغناء البلاغة عن الشعر، كما لا يستغنى الفرع عن الأصل؛ لذا نجد الشيخ يقول: "ولا تجدُ أصلًا واحدًا من أصول النقد إلا وهو راجع إلى مستقرها في الشعر والبيان، ولو قلت لكل ما في كتب البلاغة ارجع إلى مكانك الذي انتزعت منه ؛ لوجدت كَل مسألة بلاغية ناشبة ببيت شعر، وكذلك لو قلت لكل ما في كتب النقد ارجع إلى مكانك الذي انتزعت منه ؛ لوجدت كل ما في هذه الكتب عالقًا بالشعر "[٥] .

ويقول - أيضًا - :"إنما كانت تستخرج الأصول البلاغية والنقدية من الشعر"[٦].

وفي خلاصة هذا المبحث ؛ فإننا نلحظ مما سبق من كلام الشيخ عن المثاقفة بين علوم الأمة ؛ أنه ينظر لتلك العلوم على أنها منظومة في عقد واحد يحمل بعضها بعضًا، ويفتقر بعضها إلى بعض، وأشد ما تكون العلاقة بين البلاغة والشعر، إذ الشعر هو مادة البلاغة ونهرها

---

[١] ينظر: دراسة في البلاغة والشعر ، ص٣.
[٢] دراسة في البلاغة والشعر ، ص١٨.
[٣] خصائص التراكيب، ص٤.
[٤] السابق، ص٥.
[٥] الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء ص ب.
[٦] السابق نفسه.

العذب الذي يرده دارس البلاغة، وينهل منه ما يجدّد به روح البلاغة، ويفتّق من خلاله ينابيعها، فالعلاقة بين البلاغة والشعر؛ هي ارتباط الشيء بأصله ومعدنه، مما يجعل القول بالفصل بينهما من الهذيان الذي لا يمكن أن يقول به عاقل .

ويلمح الشيخ إلى خطورة القول بإطاحة البلاغة والدعوة إلى مقاطعتها ؛ لأن ذلك ليس خطره مقتصرًا على هذا العلم، وإنما يتجاوزه إلى علوم الشريعة التي يأتي الطعن فيها طعنًا في ثوابت الأمة وعقائدها .

والشيخ يجعل من الفقة أصلًا لدارس سائر العلوم ، يستطيع من خلاله أن يتعلم كيف يفكِّر ويستنبط ؛ وذلك لكون الاجتهاد في سائر علوم الأمة هو طريق تجديدها ، وإنما نتعلم الاجتهاد بدراسة كلام الفقهاء الذين أصلوا لهذا الباب ، وذللوا سبله، وسهلوا طرقه .

والتثاقف بين علوم العربية هو طريق البناء الجيّد ، والتجديد النافع في نظر الشيخ، حيث يقول: " لما تركنا علومنا الجامعة لوحدتنا، والتي فيها وبها يكون التعاون والتكامل والتساند، بمعنى أن هذا يمدّ فرعًا من هنا وهذا يمدّ فرعًا من هناك، وينتهي هذا إلى فكرة من هنا، وهذا إلى فكرة من هناك، وتتلاقى الأنغام وتكون نغمًا واحدًا"[1] .

المبحث الثالث: المثاقفة مع الآخر

لم يكن الشيخ ممن يدعو إلى مقاطعة علوم الآخرين ، حيث نجده يقول: "وهذا لا يعني ألبتة أن نغلق الأبواب في وجه أي جهد إنساني من غير أمة المسلمين ، هذا طبائع العقول ؛ لأن العقل المشوق للمعرفة لا تقف في وجهه الحواجز ؛ لأنّ الحكمة ضالته "[2].ويرى الشيخ أن " في كلام علمائنا وتراثهم ما يدل على أنهم لم يطلعوا على تراث الأمم من حولهم فحسب ، وإنما نفضوه نفضًا واستصفوه صفوة "[3].

والشيخ ينظر لعلماء الفكر الغربي المعاصر نظرة تقدير وإجلال؛ لأنهم في نظره من الجادين ، الذين كدّوا ، وصبروا ، وعكفوا على تراثهم حتى جدّدوه وقربوه لأجيالهم.

فالفكر الغربي المعاصر الذي ينقله بعض المثقفين وهم ولعون به ، هو - كما يرى الشيخ - فكر قديم في جذوره وضمائره ، ولكن عقول الجادين من ورثته عكفت عليه عكوفًا منظمًا ،

[1] من أسرار التعبير القرآني، ص١٣.
[2] خصائص التراكيب ،ص ٢٠.
[3] السابق، ص٢١.

فاستخرجت منه صورًا جديده وأفكارًا جديدة [١].

والمثاقفة التي يدعو إليها الشيخ مع الآخر " أن يولي الباحث والدارس التراث العربي اهتمامه ، وبعد أن يكون لديه الحصيلة العلمية ، والقاعدة العريضة من تراث أمته ، وعليه بعد أن يكون هذا شاغله أن يفتح كل النوافذ ، وأن يتعرف على ما يقوله الناس لا ليقول ما يقولون ،وإنما فقط ليعرف ما يقولون ، وكيف يفكرون" [٢] .

فانطلاق الدارس للإفادة من الآخرين بعد أن يفهم تراثه ويعيه ، ويصبح جزءًا من تكوينه العلمي ، وأصلا يؤسس عليه ، وأساسًا يبني عليه ؛ لأنّ انغماسه في ثقافة الآخرين وعلومهم دون اضطلاعه بتراثه يطمس هويته وتتماهى معه شخصيته ، فالتضلع بعلوم الأمة ، حصانة للدارس وجرعة تحفظ له ذاته من الذوبان في الآخر.

ويُلمح الشيخ إلى أن المثاقفة مع الآخر تكون بمعرفة ما يقول، واكتشاف كيف يفكر، وليست بنقل كلامه، وترجمة مقاله، واعتبار ذلك نوعًا من التجديد؛ لأن ذلك نسخ لمعرفة الآخر، وسلخ لثقافة غيره، وليس من التجديد في شيء؛ ونقل معرفة الآخر للتراث، إنما هو أخذ للمعرفة جاهزة، دون أن يدفع طالب العلم إلى أن يحفر في الأرض بيديه، ولو أدمى أظافره حتى يستخرج حصاة، لأن هذه الحصاة المخضّبة بدماء أظافره أفضل من جوهرة يضعها الآخرون في يده؛ لأنه إذا استخرج اليوم حصاة ، فقد يستخرج غدًا جوهرة " [٣] .

ويعيب الشيخ على "الذين ضاقت حوصلتهم عن استيعاب ما قرأوا من آداب غير عربية وعجزوا عن فهمها وتمثلها ، فأعادوها حين كتبوها في العربية كما لقنوها كأَنها الطعام لم يهضم " [٤] .

فالشيخ لا يعيب الإفادة من الآخر، ولكنه يعيب نقلها بدون فهم أو تأمل، ويمثّل ذلك بالطعام الذي يدخل المعدة فلا تستطيع هضمه؛ لأنه من النوع الذي لا يستساغ أكلا، فضلا عن كونه مما يجري هضمه في المعدة .

والشيخ يألم من وجود تيارين في الساحة، وهما تيار النقلة والتراجمة، والذين يستلون ما في رؤوس الآخرين، ومَنْ ثم يُسمّون مبدعين ومفكرين ومجدّدين، والتيار الآخر هم تيار الحفظة الحملة، الذين ينطقون بالتراث من غير أن ينفخوه بنفخات الإلهام [٥] .

---

[١] ينظر: دراسة في البلاغة والشعر، ص١٠.
[٢] شرح أحاديث من صحيح البخاري، ص٢٥-٢٦.
[٣] ينظر: خصائص التراكيب،ص٢٧.
[٤] السابق، ص٣٧.
[٥] دراسة في البلاغة والشعر، ص١١.

فالشيخ يصف الذين ينقلون من الآخرين نقلاً مجردًا بالنقلة والتراجمة؛ لأن عملهم لا يعدو أن يكون نقلًا، لما كُتب في علوم الآخرين، وترجمة لذلك المنقول من لغته الأصلية إلى اللغة العربية .

وهؤلاء الذين يطلق عليهم الشيخ "النقلة والتراجمة هم الذين قال عنهم محمود شاكر: " إن الأمر كما قلت قائم في الحقيقة على السطو البيّن أو الخفي على أعمال أناس آخرين يكتبون في لغاهم بألسنتهم "[١]

والتيار الآخر – وهم حفظة التراث دون تجديد أو تقريب له – وإن كانوا في نظر الشيخ أعلى درجة ، وأنفع للأمة من حيث حفظهم لتراث الأمة، إلا أهم يتفقون مع التيار الأول في عدم إسهام الفريقين في التجديد والإبداع والابتكار ، الذي من شأنه أن يعيد تشكيل التراث وتصويره ، وينفخ في جسده روح الحياة ، ويعيد له نضارته وحيويته .

وصريح العقل كما يقول الشيخ يرفض أمرين: الأول: أن تقوم الحياة الفكرية على نقل الأفكار التي جهد في إبداعها الآخرون؛ لأن ذلك عجز، والعجز مطية الذل، والثاني: أن تقف عقولنا عند ترديد ما قاله علماء الأمة، وأن تقول في كل مسألة ما قالوه، ونكتفي بدور الحفظ [٢].

ويتحسّر الشيخ على تحوّل كثير من علماء الأمة من باحثين ومفكرين ومنتجين للمعرفة إلى متجوّلين بين مفكري الأمم؛ نأخذ من هذا قبسه، ومن هذا قبسه، والجيل من هؤلاء يتجوَّلون، وحَسِب أن هذا هو العلم ، وهذا هو الفكر، وهذا هو التنوير والتحديث [٣].

والأغرب من الغريب – كما يراه الشيخ – " أن تمضي النخبة على ذات الطريق الذي خطه لها عدوها الألد، وأن تقوم الحركة الفكرية وخصوصًا في مجالات اللغة والأدب، ومناهج ذلك كله، على الاقتباس من العدو الألد حتى صارت ثقافتنا صدى لثقافته، بل غابت ثقافتنا وحضرت ثقافته " [٤].

وكما ألغيت الحدود التي تقيمها الأمم ذات الرشد لحفظ هويتهم وفكرهم وعلومهم، أصبحت حياتنا الفكرية تموج بالأخلاط غير المتناغمة، فهذا تيار فرنسي، وهذا تيار إنجليزي[٥].

ويؤكّد الشيخ أن أساس حضارة كل أمة علومها، وأساس حضارة الإسلام علوم

---

[١] المتنبي رسالة في الطريق الى ثقافتنا، ص ١٦٠.

[٢] دراسة في البلاغة والشعر[١] ص٩-١٠ بتصرف.

[٣] ينظر: دلالات التراكيب ص٧.

[٤] تقريب منهاج البلغاء ، ص١٠.

[٥] ينظر : خصائص التراكيب ،ص٢٤.

الإسلام، وتهجين هذه العلوم - بإدخال عناصر من الثقافات الأخرى عليها - مُفْضٍ لا محالة إلى زلزلة أركان الحضارة [١].

ويفزع الشيخ من خطر النظرة للتراث بأنه تقليدي، وأن تراث الحضارات الأخرى هو الجديد والحديث الذي ينبغي أن يدرس، وأخطر ما في ذلك - في نظر الشيخ - ألا يوثق بالدين الإسلامي الذي هذه العلوم تبحث في كنوزه وتدل على أصوله [٢].

والنظرة إلى التراث باحتقار، وازدراء ، وسخرية ، قد أفزعت محمود شاكر قبل الشيخ، حيث قال عن كتاب طه حسين (في الشعر الجاهلي): "بقي من كتاب طه حسين ما طفح من الاستهزاء والسخرية والاستهانة بعقول القدماء من أسلافنا والحط من أقدارهم، والغض مما خلّفوه من كتب ومن علم ومن حصيلة جهودهم وإخلاصهم "[٣].

وكذلك يعرض محمود شاكر للذين يعلِّمون طلبتهم الصغار أن بلاغة عبدالقاهر إنما هي عجوز شمطاء، وأن الذي يلجأ للبلاغة القديمة ؛ كالمريض يلجأ إلى حلاق القرية يداويه، مُعْرِضًا عن الطبيب الممارس المؤهل للعلاج [٤].

ويقابل هذه النظرة السوداوية لتراث الأمة من هؤلاء، عدم فهم المناهج النقدية الأجنبية التي نقلوها ورأوها عين التجديد، وذلك أنهم حين يقولون ما لا يعلمون، فلأنهم دخلوا سراديب العجمة - كما يرى الشيخ - وفهم المسألة لا يكون إلا بمعرفة نشأتها وتطورها على أيدي العلماء حتى أصبحت معرفة جديدة مبتكرة ، لها عمقها التراثي، وجدتها وحداثتها في الزمن المعاصر؛ مما يجعل لها قبولا عند أبناء الجيل، وكل ذلك قد غاب عن الذين استوردوا تلك المناهج دون فهم أو تمحيص[٥].

فإن العلوم التي كتبها الآخرون لأجيالهم، إنما كتبوها - كما يقول محمود شاكر - بلغتهم وثقافتهم لأجيالهم ، فهم يعبرون عن أنفسهم وعن حضارتهم وعن ثقافتهم ، لاعن أنفسنا أو عن حضارتنا أو عن ثقافتنا نحن " [٦].

المبحث الرابع: روافد التجديد البلاغي وتطبيقاته عند الشيخ محمد أبو موسى

الرافد الأول:

المراجعات رافد من روافد التجديد ، وفيها يقول الشيخ : " والمطلوب الآن هو الرجوع إلى الشعر والكلام الرفيع من النثر ، ودراسته وتحليله والاستنباط منه ، ليكون ذلك رافدًا

---

[١] السابق،ص٢٠.
[٢] قراءة في الآدب القديم ص٥.
[٣] أسرار البلاغة ،المقدمة ص٢٤.
[٤] السابق، ص٢٨.

[٥] ينظر: قراءة في الأدب القديم ص١١.
[٦] المتنبي، ص١٦٠.

يتجدد به العلم ، وتطول بـه فروعـه الـتي قصـرت "[1].

والمراجعة الدائمة ، هي الـتي تتولـد منـها المعرفـة ، وتثمر الجديد وهـذا - في نظـر الشيخ - لا يوجد إلا إذا عكف الثاني علـى علم الأول ، واسـتخرج منـه صافيـات الصواب ، وخافيات الخطأ[2].

وإذا كان بياننا العربي لا يزال منطويًـا علـى كثير من أسراره ، وإذا كانت علوم البلاغة - مع أهميتها ودقتها وإتقانها وضرورتها - ليست هي كل أسرار هذا البيان، وليست مفـاتيح لكل مداخله ، فإن هذا يوجب علينا أن نراجع خط سير الدراسات وإنجازها[3].

والشيخ يرى حاجة مراجعة أصول العلـم إلى الصبر، والمصابرة ، والمثابرة، فيقول: "ومـن الواجب أن نبحث دائمًا عن آفـاق جديـدة للدرس البلاغي ، وأنْ تكون آفاقًا لا يسـتقيم الكلام فيها إلا لمن صبر وصابر وثابر ، وقـام وقعد ، وهو حامل على كاهلـه هـذا الواجب "[4].

ويأتي كتاب الشيخ (مراجعـات في أصـول الدرس البلاغـي) تطبيقًـا عمليًّـا علـى "المراجعات" ورافدًا من روافد التجديد ؛ فقد عقد أبواب كتابه لمراجعة بعـض الأصـول البلاغية ، واستهلها بمراجعة كلمات عبدالقاهر في الدلائل ؛ كما راجع بعض الأصول البلاغية التي يراها تائهة ؛ ومن أبرز ما عرض له الشيخ في هذا الباب كلمة جليلة لإبراهيم بن محمـد الهاشمي في القدرة على التحليل والتذوق ، وأنها تعدل القدرة على الإبداع في كل عصر .

وقصر الشيخ المبحث الثالث على مراجعـات كلام أبي الفتح ابن جـني، وأبحـر في ذلـك فأحسن غاية الإحسان .

ويستمر الشيخ في مراجعاته لأصول الـدرس البلاغي حتى أتم كتابه ؛ راسمًا بذلك طريقًـا لتجديد الدرس البلاغي ، ومنـهجًا لدراسـة التراث العربي وإثرائه .

ولابد لمراجعة أصول العلم بغية التجديد مـن عقول لا تملّ وعزائم لا تَكلّ ، وهذا في نظـر الشيخ شيء ، وترديد الببغاوات شيء آخـر، وهذا هو الذي يُفهم من كلام المازني لما قـرأ رسالة الشافعي خمسمائة مرة وكان في كل مرة يفهم شيئًا لم يفهمه من قبل"[5].

إذا لابد في التجديد من اجتهاد العقول الـتي تعرف طريق الكدح ، والقدح ، والاجتـهاد؛

[1] دراسة في البلاغة والشعر، ص٢٠ .
[2] مدخل إلى كتابي عبدالقاهر ، ص١٠.
[3] ينظر: آل حميم "غافر وفصّلت" ،ص٨.
[4] مراجعات في أصول الدرس البلاغي، ص٧.
[5] الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء، ص.

فالتجديد الحقّ والنهضة الصادقة - كما يراها الشيخ - هي أن نبعث بصبرنا وعملنا ، وجدنا وفكرنا حضارتنا وأنْ نجدّدها بعقولنا أيضًا لا بعقول غيرنا، وأنْ نضَعَ أيديَنا على طاقاتِنا الحيَّة؛ لأنها هي الرحم التي تتخلق فيه وتنمو عقليًّا وذوقيًّا بروحها ومقوماتها وخصائصها [١].

ولا يكون الاجتهاد إلا بملابسة العقول المتميزة بأصول المعرفة والصبر على مدارستها ومراجعتها ومناقشتها ، إذ المعرفة تتوهج بتوهج العقول التي تلابسها ، وتنطفي بانطفاء العقول التي تلابسها ، وهذا التوهج كما يراه الشيخ هو الذي يحول علومنا إلى تربة خصبة تنبت المعرفة الجديدة [٢].

ونهضات الأمم إنما تكون بعقول أبنائها ، واجتهاداتهم الخلاّقة ، وتجديد العلوم والمعارف ليس له إلا طريق واحد، هو أن تعمل عقولنا في هذه العلوم والمعارف[٣].

ويأتي الشيخ إلى شيء من ثمرات مراجعات أصول العلم التي تثمرها المراجعة الجادة الدائبة لتراث الأمة ، فيقول: " قد تجد - أي: مع المراجعة والمصابرة - لَفْتة زكية في كلام واحد من العلماء القدماء ، أهملها من جاؤوا بعده؛ لأنهم كانوا متجهين إلى غاية في بحثهم لا تدخل فيها هذه اللفتة ، فتظل أمرًا نفيسًا منسيًّا ، يمكن أن يستثمر ويفتح بابًا جديدًا من أبواب هذا الفن[٤]".

وقد مثَّل على الالتفات إلى الدقيقة التي تُستخرج من التراث ، فيربو بها العلم وتُجَدَّد بها المعرفة ، وذلك حينما استخرج عبدالقاهر باب التقديم في الخبر المثبت من لفظة واحدة ، وقع عليها من كلام سيبويه، وهو يذكر المفعول المقدّم الذي ترفعه على الابتداء ، وتُعمِل الفعل الناصب له في ضميره ، فتقول في "عبدَالله أكرمت" - بنصب عبدالله - : عبدُالله أكرمته - برفعه - قال سيبويه: " وإنما قلت: عبدُالله، فنبهته له ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء " [٥].

وقد وقعت عين عبد القاهر - كما يرى الشيخ - على كلمة " فنبهته" وهي كلمة تائهة في كلام سيبويه، فأخرجها واستخرج منها بحثًا جليلًا في سرّ التوكيد في مثل أحمد قام، وكان عبد القاهر يكرِّر كلمة " فنبهته" مع كل شاهد ؛ ليدلنا على طريقته في استثمار كلام العلماء "[٦].

ويأتي من ثمرات مراجعة تراث الأمة - عند الشيخ محمد أبو موسى ، لا سيما تراثها الأدبي

[١] قراءة في الأدب القديم، ص٦-٨.
[٢] ينظر: الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء، ص١٠.
[٣] ينظر: القوس العذراء وقراءة التراث، ص٥.
[٤] مراجعات في أصول الدرس البلاغي ،ص٨.
[٥] دلائل الإعجاز، ص١٣١.
[٦] دلالات التراكيب، ص١٣.

شعرًا ونثرًا – القطع الجازم بلا تردد أن شعر الجاهلين هو أصفى شعر العربية ، وأسخاه ، وأثراه ، فإنه لا يلتبس بالشعر الذي جاء بعده؛ لأن له ميسمًا يدل عليه "[١] .

والباحث الصادق المنقطع الذي يلامس بابًا من أبواب العلم بيقظة وفهم وصدق وصبر ، إذا لم يستخرج من هذه المعرفة فكرًا جديدًا استخرجت هي منه فكرًا جديدًا؛ لأنه يلابسها بكل خواطره ، فإذا لم تستخرج خواطره الحية المتوفرة منها فكرًا ألهمت هي هذه الخواطر فكرًا، وكما أن الأمة إذا تركت الجهاد ذلت ، هي أيضا إذا تركت الاجتهاد غابت[٢].

الرافد الثاني: دراسة تطور الفنون البلاغية في كلام العلماء ، يقول الشيخ: " إن دراسة تطور الفنون البلاغية في كلام العلماء من المباحث التي لا يجوز أن تهمل ، وأننا في متابعاتنا لكلامهم سنجد إشارات تفتح آفاقًا جديده للدرس " [٣].

فالشيخ يرى أن تتبع مظاهر التطور في كل فن من فنون البلاغة عند أرباب البيان من روافد التجديد البلاغي، فتجد الفرق الشاسع بين طباق وطباق، وبين مقابلة ومقابلة ، وبين جناس وجناس[٤] .

وحينما نتتبع تطبيقات هذا الرافد في كتب الشيخ ؛ نجده في كتابه (التصوير البياني) يعرض طريقًا لتجديد فن التشبيه ؛ وذلك من خلال تناول التشبيهات التي ذهب الإلف برونقها ، وبعثها جديدة حية ؛ بإضفاء الشاعر عليها من روحه وخياله ما يزيل الرتابة عنها ؛ فتجديد الصورة البيانية – في نظر الشيخ – مظهر للمقدرة البلاغية ، وهو باب للإبداع وتجديد الدرس البلاغي[٥] .

ويعرض الشيخ في كتابه (مراجعات في أصول الدرس البلاغية) لمنهج جديد في دراسة المجاز ؛ وذلك بتجاوز دراسة أنواع المجاز اللغوي والعقلي عند الشعراء والكتاب ؛ إلى رصد الكلمات التي حركها الطبع ، وأكسبها دلالات جديدة ، واقتلعها من معانيها التي تواضع الناس عليها ، وغرسها في مغارس جديدة ، فاستقامت وحسنت وراقت ، فالشيخ يؤسس لمنهج جديد في دراسة المجاز ؛ يعنى بإدخال جملة مجازات على الكلمة الواحدة [٦].

---

[١] الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء، ص٦.
[٢] السابق، ص١٠.
[٣] مراجعات بلاغية، ص١٠.
[٤] ينظر : السابق ،ص١١.
[٥] ينظر : ص٢١٤ –٢١٥
[٦] ينظر : ص٣٠٨ .

الرافد الثالث: دراسة تطور تراكيب الكلام في الشعر والنثر وفي كل ما يجري به اللسان، فالتجديد – من خلال هذا الرافد – يأتي من جهة بناء الجملة وتراكيب الكلام ، وليست من جهة الفنون البلاغية [١] .

فالإسناد لا يصنعه المتكلم إلا بما في نفسه من معان ، وصور ، وأخيلة ، وخواطر، فالإسناد هو الباب الذي ندخل منه في دراسة التطور البلاغي [٢] .

إذن إدراك أسرار الفروق بين الأساليب والتراكيب ، بين " زيد قدره عظيم " إخبار عن زيد بأن قدره عظيم ، وبين " قدر زيد عظيم " فالبحث في تلك الأساليب ومعرفة الفروق بين تلك التراكيب من روافد التجديد [٣] .

إذن العناية بتدبر أسرار تراكيب الكلام ، رافد في غاية الأهمية من حيث تجديد البلاغة ، وإثراء الدرس البلاغي ، وفتح منافذ من التجديد والابتكار والإبداع، يقول الشيخ في موضع آخر: "وكما نجتهد لبيان ما أضافه كل عالم في فرع من فروع العلم؛ كذلك يجب أن نجتهد لنُبيِّن ما أضافه كل شاعر إلى رصيد اللغة، وصورها وصيغها" [٤].

فالشيخ يرى أنه يجب أن يكون مع العناية بتحرير ما استخرجه العلماء من أسرار وأصول ، العناية بتدبر أسرار الكلام لنستخرج منه أسرارًا بيانية جديدة ، ولنكشف عن الأصول البلاغية التي لا تزال مكنونة في هذا اللسان [٥] .

وهذا ما فعله محمود شاكر مع الشعر العربي، حيث يقول: " بدأت بإعادة قراءة الشعر العربي كله، أو ما وقع تحت يدي منه يومئذ على الأصح ، قراءة متأنية طويلة الأناة عند كل لفظ ومعنى، كأني أقلّبها بعقلي ، وأروزها بقلبي، وأَجسُّها جسًّا ببصري وببصيرتي" [٦] .

وقد عُني منهج محمود شاكر – في تذوق الكلام – باستنباط دقائق الكلام، ومعالجة نظمه ولفظه ، معالجة أتاحت له إماطة اللثام عن خفي الأسرار البياني [٧] .

وهذا المنهج الذي أبان عنه محمود شاكر – في قوله آنفًا – هو ما نجده في دراسته التطبيقية في (نمط صعب ونمط مخيف) وكتابه الآخر (المتنبي) وفي(القوس العذراء) ، فقد اختَطّ

---

[١] ينظر: مراجعات بلاغية ،ص١٩-٢٠.
[٢] السابق نفسه.
[٣] ينظر: دلالات التراكيب،ص٣٧.

[٤] التصوير البياني،ص٨.
[٥] ينظر: آل حميم "غافر، وفصلت" ، ص٨.
[٦] المتنبي، ص٦.
[٧] السابق، ص١٥.

لنفسه منهجًا في دراسته الشعر العربي يقوم على التذوق ، واستخراج الأسرار البيانية ، التي لا زالت مكنونة تنتظر من يميط عنها اللثام ، ويقدمها للأنام .

ويبدو أن محمود شاكر ما كان ليصل إلى ما وصل إليه من منهج تذوق الكلام – الذي استطاع من خلاله أن ينفخ الروح في الشعر ، ويجدّد في البلاغة من خلال الكشف عن أسرار البيان، ما كان ليصل إلى ذلك بعد توفيق الله – لولا المصابرة والأناة ، واستقصاء الجهد فيه في التثبت من معاني ألفاظ اللغة ، ومن مجاري دلالاتها الظاهرة والخفيّة ، بلا استكراه ولا عجله ، وبلا ذهاب مع الخاطر الأول[1].

وأظهر ما نجد هذا الرافد في تطبيقات الشيخ محمد أبو موسى ، ما جاء في كتابه (قراءة في الأدب القديم) الذي اعتنى فيه بتحليل الشعر العربي في عصوره الذهبية ؛ وجاء تحليله للتراكيب فائقًا ودقيقًا ؛ وقد وازن بين التراكيب ، وحلل الأبنية ، وتتبع مواقع بعض الكلمات في بناء الصورة ، كما تتبع صيغ الأفعال في عينية الحادرة ، ونبه على الفروق الخفية في المباني التي لها دلالة في المعاني عند الفرزدق ، وعقد الشيخ موازنة بين بعض القصائد ؛ حيث وازن بين قصيدتين للحادرة ، ووازن بين دالية النابغة ورائيته .[2]

الرافد الرابع: الطبع والذوق، وفاقد الطبع مهما كدّ نفسه في تحصيل العلم فلن يصل إلى هذه البغية " [3].

ولابد للمجدِّد من الذوق " والذوق غير المؤسَّس على المعرفة ضلالٌ مبين، والمعرفة غير الناهضة على التذوق قدح بلا نار[4] .

الرافد الخامس: لا بد من بحث الوسائل التي انتفع بها كل شاعر في الإبانة عمَّا وجد ، وكيف صَرَّف هذه الوسائل؟ وكيف صاغها؟ وكيف أقامها رموزًا دالّة؟ والمقارنة بين بيان الشاعر مع غيره لاستكشاف أسرار البيان من خلال تلك المقارنة ومعرفة أوجه الفروق ودقائق التباين[5] .

الخاتمة والنتائج

جاءت نتائج هذه الدراسة على النحو الآتي بيانه:

١- لم يكن الشيخ محمد محمد أبو موسى من دعاة الجمود والتقليد ، وإنما كان من دعاة التجديد في الدرس البلاغي خاصة ، وعلوم الأمة

[1] السابق،ص١٥-١٦.

[2] ينظر : ص ١٦٥،١٥٤، ١٨٣، ٣٩٠ .

[3] دلالات التراكيب، ص١٤.

[4] دلالات التراكيب،ص١٤.

[5] ينظر:مدخل إلى كتابي عبدالقاهر، ص٨ وما بعدها.

ومعارفها في كل فروع الحياة عامة، فالتجديد عند الشيخ فطرة فطرت البشرية عليها، لا يمكن أن يستغني عنها سليم الفطرة، وعدم تجديد علوم الأمة هو السبب في نفور الجيل منها في نظر الشيخ .

٢- علوم الأُمة – في نظر الشيخ محمد محمد أبو موسى – كالجسم المتكامل الذي يؤدّي استئصال شيء منه إلى تشويه ذلك الجسد، كما يؤدّي إلحاق الأذى بجزء يسير منه إلى الإضرار بذلك الجسد كله، ولذلك فإن القول بإطاحة البلاغة هو إضرار بعلوم الأمة جميعًا، وتعدٍّ على قدسية العلوم الشرعية، وذلك لترابط تلك العلوم وتناجي بعضها من بعض، مما له الأثر البالغ في توليد وتحديث علوم الأمة، فهذا عبدالقاهر يُخرّج لنا من رحم علم النحو علم المعاني.

٣- لم يكن الشيخ محمد محمد أبو موسى ممن يرى الانكفاء على الذات وقطيعة علوم الآخر، وإنما نجده ينظر إلى أن المعرفة الإنسانية حق مشاع بين الأمم، ولا يمكن حجز العقل المشوق للمعرفة عن الاطلاع على علوم الأمم ومعارفها، ولكن قراءته لتراث الآخر ليس من أجل أن يترجمه حرفيًّا لتراثه؛ وهؤلاء يسميهم الشيخ التراجمة، وإنما تكون تلك القراءة والاطلاع لمعرفة كيف يفكر هؤلاء، فيفاد من طريقتهم في التفكير، وتناولهم تراثهم بعقولهم؛ حتى أحدثوا فيه بتلك النقلة النوعية تطويرًا وتجديدًا.

٤- مراجعة أصول علوم الأمة ضرورة ملحّة لتجديدها، مع اصطحاب المصابرة والمثابرة، بعقول لا تني في الاجتهاد ، وإنتاج الجديد والحديث.

٥- دراسة تطور الفنون البلاغية في كلام العلماء، ودراسة تطور تراكيب الكلام في البيان العربي "شعرًا ونثرًا" رافدان سخيّان في تجديد البلاغة العربية.

٦- لا يمكن لدارس البلاغة – في نظر الشيخ – أن يكون مجدّدًا لتراثها وهو فاقد للطبع والذوق، مهما كدّ نفسه في تحصيل العلم .

٧- عقد المقارنات بين الشعراء – من حيث معرفة وسائل كل شاعر في الإبانة عما وجد، وكيف صرف تلك الوسائل في فنون القول وصاغها وعقد المقارنات بين الشعراء من هذا المنطلق – يفتح أبوابًا من التجديد ، ويكشف عن أسرار من البيان ، من شأنها أن تنفخ الروح في الدرس البلاغي ، وتمنحه مزيدًا من الحيوية والنضارة والجدّة.

٨- أشبه الشيخ محمد محمد أبو موسى شيخه الشيخ محمود شاكر في رؤيته للتجديد من

خلال التراث، وذلك بكتابته كتابة عصرية تتناسب مع ذوق أهل العصر ولغتهم، كما أشبهه في نظرته بازدراء للذين ينقلون علوم الآخرين حرفيًّا ، وسماهم الشيخ محمد أبو موسى (التراجمة) بينما أطلق عليهم الشيخ محمود شاكر" أرباب السطو الظاهر أو الخفي".

٩- تميز الشيخ محمد محمد أبو موسى عن شيخه الشيخ محمود شاكر في تناوله لقضايا التجديد بما شكل رؤيا متكاملة على نحو قضايا التجديد تم تلخيصها في نتائج هذه الدراسة آنفا.

١٠- توصي الدراسة بضرورة التجديد في الدرس البلاغي بما يجعله جاذبًا للدارس ، ولابد لذلك من الانطلاق من النصوص الأدبية الثريّة بالبلاغة ، مع تقليل التقسيمات البلاغية الجافة ؛ التي من شأنها أن تنفّر الدارس وتصرفه عن الإقبال على البلاغة ، والشرب من ينبوعها العذب ، ولابد من تحييد النصوص التي ليست من الأدب الرفيع في شيء ؛ وقد صُدِّرت بها كتب البلاغة ، فصرفت الدارسين عن الدرس البلاغي ؛ لصعوبة ألفاظها وخلوّها من اللذّة والمتعة .

المراجع

١. أسرار البلاغة، عبدالقادر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط١٤٣١،١هـ .

٢. الإعجاز البلاغي "دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه، القاهرة، ط٢.

٣. آل حميم، الشورى، الزخرف، الدخان، "دراسة في أسرار البيان" د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه، القاهرة، ط١٤٣٠،١هـ .

٤. آل حميم، غافر، فصلت، "دراسة في أسرار البيان" د.محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه، القاهرة، ط١٤٣٠،١هـ.

٥. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، د/محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه، القاهرة، ط١٤٠٨،٢هـ .

٦. التصوير البياني ودراسة تحليلية لمسائل البيان، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه، القاهرة، ط٣.

٧. تقريب مناهج البلغاء لحازم القرطاجني، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه، القاهرة، ط١٤٢٧،١٥.

٨. خصائص التراكيب ودراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه، القاهرة، ط١٤١٦،٤ه.

٩. دراسة في البلاغة والشعر، د. محمد محمد أبـــو موســـى، مكتبـــة وهبـــــه، القـــاهرة، ط١٤١١،١هـــ .

١٠. دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، قـــرأه وعلّق عليه: محمود شاكر، مطبعـــة المـــدني، القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـــ .

١١. الزمر، محمد وعلاقتهما بآل حميم ودراســـته في أسرار البيان، مكتبـــه وهبـــه، القـــاهرة، ط١٤٣٣،١هـــ .

١٢. شرح أحاديث من صحيح البخاري "دراسته في سمت الكلام الأول"، د.محمد محمـــد أبـــو موســـــى، مكتبـــة وهبـــه، القـــاهرة، ط١٤٢١،١هـــ .

١٣. الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشـــعراء، د.محمد محمد أبو موســـى، مكتبـــة وهبـــه، القاهرة، ط١٤٢٩،١هـــ .

١٤. قراءة في الأدب القديم، د.محمد محمد أبـــو موســـى، مكتبـــة وهبـــــه، القـــاهرة، ط١٤١٩،٢هـــ .

١٥. القوس العذراء وقراءة التراث، د. محمد محمد أبو موســـــى، مكتبـــة وهبـــه، القـــاهرة، ١٤٠٣هـــ .

١٦. المتنبي، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمـــود محمد شـــاكر، مطبعـــة المـــدني، القـــاهرة، ١٤٠٧هـــ .

١٧. مدخل إلى كتابي عبدالقادر الجرجـــاني، د. محمد محمد أبوموسى، مكتبة وهبه، القـــاهرة، ط١٤١٨،١هـــ .

١٨. مراجعات بلاغية في أصول الدرس البلاغي، مكتبة وهبه، القاهرة، ط١٤١٦،١هـــ .

١٩. من أسرار التعبير القرآني ، دراســـة تحليليـــة لسورة الأحـــزاب ، ط١٤١٦،٢هـــ .